منهج الصحابة في سرعة الاستجابة

إعداد الشيخ/ عبده أحمد الأقرع

الحمد لله أحق مَن حُمد، وأصلى وأسلم على رسوله المجتبى ونبيه المصطفى، وعلى آله وأصحابه ومن سار على دربهم واقتفى.

أما بعد: فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي العشاء، فجلسنا، فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما زلتم هنا؟» قلنا: يا رسول الله، صلينا معك، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء. قال: «أحسنتم أو أصبتم». قال فرفع صلى الله عليه وسلم رأسه إلى السماء -وكان كثيرًا ما يرفع رأسه إلى السماء-؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما تُوعَد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يُوعَدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون». (صحيح مسلم: (٢٥٣١)).

فهذا الحديث تضمن فضيلة الصحابة رضي الله عنهم على وجه عام، كما اشتمل على بيان منزلتهم ومكانتهم العالية في الأمة، وأنهم في الأمة بمنزلة النجوم في السماء، فكما أن النجوم منار لأهل الأرض ليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ٩٧).

وكذلك الصحابة يُقتدى بهم للنجاة -بإذن الله- من ظلمات الشهوات والشبهات.

وهذا يقتضي أن اتباع منهج الصحابة وما كانوا عليه، مما تلقوه من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واجب.

وقد وعد الله عز وجل أن مَن اتبعهم وسار على دربهم واقتفى آثارهم بجزاء تقر به العين؛ فقال عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة ١٠٠).

ويسأل سائل: هل يمكن أن تتكرر الصورة المشرقة المضيئة التي كان عليها السلف الصالح؛ جيل

Upload by: altawhedmag.com

الصحابة رضي الله عنهم.

والجواب: نعم إن شاء الله؛ إذا تأسينا بهم في سرعة الاستجابة لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وهذه نقطة تحتاج إلى إيضاح وتفصيل، وتحتاج إلى ذكر أكثر من مثال، لعل المسلمين أن يتبعوا سلفهم فيما كانوا عليه من منهج التلقي للتنفيذ، فيفوزوا بما فازوا به من خيري الدنيا والآخرة.

أولًا: مسارعة القوم من الأنصار إلى تولية وجوههم نحو الكعبة وهم ركوع:

عن البراء رضي الله عنه قال: «لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا، وكان يُحب أن يُوجَّه إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى: «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ» (البقرة: ١٤٤)، فوُجِّه نحو الكعبة. وصلى معه رجل العصر، ثم خرج فمر على قوم من الأنصار فقال هو: أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم وأنه قد وُجِّه إلى الكعبة، فانحرفوا وهم ركوع في صلاة العصر». (صحيح البخاري: (٧٢٥٢، ١٣/ ٢٣٢)).

ما أسرعهم تأسيًا بالرسول صلى الله عليه وسلم! سمعوا خبرًا عنه صلى الله عليه وسلم فلم يترددوا في التمسك به، بل لم ينتظروا رفع رءوسهم من الركوع، وبادروا بالتوجه إلى حيث توجَّه الحبيب الكريم صلى الله عليه وسلم -إلى الكعبة المشرفة- وهم ركوع.

ثانيًا: مبادرة الصحابة رضي الله عنهم إلى تنفيذ أمره صلى الله عليه وسلم بانضمام بعضهم إلى بعض عند النزول في سفر:

عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه حيث قال: كان الناس إذا نزلوا منزلًا تفرقوا في الشعاب والأودية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن تفرقكم في هذه الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان». فلم ينزل بعد ذلك منزلًا إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى يقال: «لو بسط عليهم ثوب لعمَّهم». (صحيح سنن أبي داود: رقم (٢٢٨٨، ٢/ ٤٩٨)).

ثالثًا: إكفاء الصحابة القدور وهي تفور باللحم عند استماعهم النداء بتحريم لحوم الحمر الأهلية:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه جاء فقال: أكلت الحمر، فسكت. ثم أتاه الثانية فقال: أكلت الحمر، فسكت. ثم أتاه الثالثة فقال: أفنيت الحمر. فأمر مناديًا فنادى في الناس: «إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر الأهلية». فأكفئت القدور وإنها لتفور باللحم. (صحيح البخاري (٤١٩٩، ٧/ ٤٦٧-٤٦٨)).

لم يفكر أولئك الأبرار المحبون الصادقون للحبيب صلى الله عليه وسلم في التحايل أو البحث عن فرصة أو استثناء.

رابعًا: جري الخمر في سكك المدينة عند إعلان تحريمها:

لم يكن ابتعاد أولئك الأبرار المحبين الصادقين للحبيب الكريم صلى الله عليه وسلم عند النهي عما رغبوا فيه فحسب، بل تركوا أشياء كانوا تعودوا عليها منذ سنوات، بل كانوا قد ورثوها عن آبائهم. فعن أنس رضي الله عنه قال: كنت ساقي القوم في منزلي أبي طلحة رضي الله عنه، وكان خمرهم يومئذ الفضيخ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديًا ينادي: «ألا إن الخمر قد حرمت». قال: فقال لي أبو طلحة: «اخرج فأهرقها». فخرجت فهرقتها. فجرت في سكك المدينة. (صحيح البخاري (٢٤٦٤، ٥/ ١١٢)).

سبحان الله! وتم هذا كله من غير قيل وقال، وتردد واستفسار! يا له من استسلام مطلق، وانقياد كامل. وعلى هؤلاء الصادقين ينطبق قول الله تعالى: «إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (النور: ٥١).

خامسًا: مراعاة الصحابة رضي الله عنهم عهدهم مع العدو تنفيذًا لأمر النبي صلى الله عليه وسلم:

عن سليم بن عامر قال: «كان بين معاوية رضي الله

Upload by: altawhedmag.com

عنه وبين الروم عهد، وكان يسير نحو بلادهم، حتى إذا انقضى العهد غزاهم. فجاء رجل على فرس أو برذون (يعني دابة) وهو يقول: الله أكبر، الله أكبر، وفاء لا غدر».

فنظروا فإذا عمرو بن عبسة رضي الله عنه، فأرسل إليه معاوية رضي الله عنه فسأله. فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشدّ عقدة ولا يحلّها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء». فرجع معاوية رضي الله عنه. (صحيح سنن أبي داود: رقم (٢٣٩٧، ٢/٥٢٨)).

سادسًا: مبادرة الصحابة إلى خلع نعالهم في الصلاة حينما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم خلع نعليه:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بأصحابه؛ إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره. فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم». فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال: «ما حملكم على إلقائكم نعالكم؟».

قالوا: رأيناك ألقيت نعليك فألقينا نعالنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن جبريل صلى الله عليه وسلم أتاني فأخبرني أن فيهما قذرًا». وقال: «إذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظر؛ فإن رأى في نعليه قذرًا أو أذى فليمسحه وليصل فيهما». (صحيح سنن أبي داود: رقم (٦٠٥، ١/١٢٨)).

الله أكبر، كم كانوا حريصين على المبادرة إلى التأسي به صلى الله عليه وسلم.

سابعًا: خلع المرأة سواريها عند استماع تهديد النبي صلى الله عليه وسلم:

لم يكن سرعة الاستجابة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم من قبل الرجال فحسب، بل كان كذلك من المؤمنات الصادقات.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «إن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعها ابنة لها، وفي يد ابنتها مسكتان (تثنية مسكة: وهي السوار) غليظتان من ذهب، فقال: أتعطين زكاة هذا؟» قالت: لا. قال: «أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟» قال: فخلعتهما فألقتهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالت: هما لله عز وجل ولرسوله. (صحيح سنن أبي داود: رقم (١٣٨٢، ١/٢٩١)).

الله أكبر، لم تقتصر المرأة المؤمنة المحبّة للرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه عن امتثال أمره بدفع زكاة السوارين، بل تنازلت عنهما وقدمتهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة لله عز وجل.

ثامنًا: التصاق النساء بالجدار تنفيذًا لأمره صلى الله عليه وسلم بالمشي في حافات الطريق:

عن أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خارج من المسجد، فاختلط رجال مع النساء في الطريق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق-يعني: تركبن حقها وهو وسطها-، عليكن بحافات الطريق». فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها يتعلق بالجدار من لصوقها به. (صحيح سنن أبي داود: رقم (٤٣٩٢، ٣/٩٨٩)).

تاسعًا: عفو الصديق رضي الله عنه عن مسطح بن أثاثة:

كان فيمن خاض في حادثة الإفك مسطح بن أثاثة، وكانت أمه ابنة خالة الصديق رضي الله عنه، وكان مسطح رجلًا فقيرًا، وكان الصديق ينفق عليه، فلما قال ما قال في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ونزلت الآيات ببراءتها قال أبو بكر: والله لا أعود أنفق على مسطح أبدًا بعدما قال ما قال. فنزل القرآن: «وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (النور: ٢٢).

Upload by: altawhedmag.com

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر فتلاها عليه، فوالله ما هو أن سمعها حتى قال: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، والله لأردنّ على مسطح ما كنت قطعته عنه. (متفق عليه: البخاري (٤٧٥٠، ٨/٤٥٢)، ومسلم (٢٧٧٠، ٤/٢١٢٩)).

عاشرًا: سرعة استجابة أبي طلحة رضي الله عنه لأمر الله تعالى:

عن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة رضي الله عنه أكثر الأنصار بالمدينة مالًا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب.

قال أنس: فلما نزلت هذه الآية: «لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ» (آل عمران: ٩٢)؛ جاء أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن الله تعالى أنزل عليك: «لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ»، وإن أحب مالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله تعالى أرجو برها وذخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بخ بخ، ذلك مال رابح ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين». فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. (متفق عليه: البخاري (١٤٦١، ٣/٣٢٥)، ومسلم (٩٩٨، ٢/٦٩٣)).

فانظروا رحمكم الله: كيف استجاب أبو طلحة رضي الله عنه لأمر الله بالإنفاق وبادر إلى الخروج من أحب أمواله إليه صدقةً لله تعالى، ثم لما أمره الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجعلها في أقاربه لم يسعه أيضًا إلا السمع والطاعة فقام فقسمها في أقاربه وبني عمه.

الحادي عشر: عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «يرحم الله نساء المؤمنات الأول، لما أنزل الله تعالى: «وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (النور: ٣١) قمن إلى مرطهن فشققنها ثم اختمرن بها». (البخاري: (٤٧٥٨، ٨/٤٨٩)).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله قوله: (فاختمرن) أي: غطين وجوههن. وقالت رضي الله عنها في حادثة الإفك: «وكان صفوان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي عنه بجلبابي». متفق عليه.

هكذا استجابت المسلمات لأمر الله تعالى.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: أين نحن من هؤلاء الكرام اليوم؟

أليس في الإمكان أن يعود المسلمون اليوم عودة حميدة إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم؟ هل يعود للمسلمين عزهم ومجدهم؟

والجواب: نعم؛ إذا رجعوا إلى دينهم، وتمسكوا بهدي نبيهم صلى الله عليه وسلم، كما كان سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم- كانوا يعظمون شعائر الله، ويعظمون حرمات الله، وكانوا يعلمون أنه يجب عليهم سرعة التنفيذ لكل من يأتيهم من عند الله، فإن أتاهم أمر فعلوه، وإن أتاهم نهي انتهوا؛ لأنهم علموا أنهم ليس لهم الخيرة من أمرهم إذا قضى الله ورسوله أمرًا. هكذا كان منهجهم في التلقي.

وفقني الله وإياكم للتأسي بهم.

Upload by: altawhedmag.com